الفعل ودلالته الصرفية
في شعر الإمام الشافعي

دكتورة / سناء يوسف فتح الباب إبراهيم
مدرس بقسم النحو والصرف والعروض
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة:

تتمثل الدلالة الصرفية فيما تؤديه الزيادات الصرفية من معان مضافا إليها معنى الجذر المعجمي، فلو قيل: مرض الطبيب الرجل، لكان المعنى المتعين من هذا الفعل مرض مؤتلفا من معنى الجذر مضافا إليه دلالة هذه الصيغة التي تفيد القيام على المرض في هذا المقام، ولو قيل "محلب" بكسر الميم، لكان المعنى المتعين من هذا اللفظ هو دلالة حلب مضافا إليها دلالة هذه الصيغة الصرفية التي تدل على القدح الذي يحلب فيه، وإذا ما قيل محلب فإن المعنى المستفاد بالإضافة إلى معنى الجذر دلالة صيغة مفعل التي تدل على المكان الذي يحتلب فيه (١)

وهكذا يتبين أن لهذه القوالب الصرفية دورا في تقديم جزء من المعنى، وقد يحدث في بعض الأحيان أن تختلف هذه القوالب الصرفية دون أن يكون هذا مفضيا إلى اختلاف في المعنى، ومن ذلك مجيء صيغة "فعل وأفعل بمعنى واحد في بعض الأحيان، فيقال: محضته النصح وأمحضته النصح، والمعنى واحد (٢).

والصيغة في الاصطلاح هي العلامة الصرفية التي تدل على المورفيمات، فمورفيم الطلب تدل عليه صيغة (استفعل) ، ومورفيم التكسير تدل عليه صيغ التكسير ومورفيم اللزوم تدل عليه صيغة (فعل).(٣).

ويعد الشعر مادة خصبة لدراسة أي ظاهرة دلالية صرفية كانت أو نحوية لما يتضمنه من تدفق لمشاعر الحزن أو الفرح أو عرض لتجربة الشاعر في الحياة وفي الموت ومايتضمنه أحيانا من حكم ووعظ وإرشاد.

والشعر يتطلب لغة ومفردات منتقاه للتعبير عن تجربة الشاعر ومشاعره تلك، وأي كلمة ترد في القصيدة الشعرية فهي مقصودة لذاتها ومنتقاه لأداء غرض دلالي معين لايمكن أن يؤديه لفظ آخر.

وقد وقع اختيارنا في هذه الدراسة على ظاهرة كثرة استخدام الفعل أو التركيز على صيغة صرفية دون صيغة أخرى في قصائد الإمام الشافعي وأثر ذلك على المعنى الدلالي الصرفي ومايترتب عليه من إيضاح المعنى العام.

والصرف: علم يبحث في أحوال الكلمة وأبنيتها، وهو رافد مهم للدراسة الأسلوبية ذلك لأن كل كلمة لها معنى صرفي مستفاد منها، فعلى سبيل المثال: (المعنى الصرفي للأسماء هو الدلالة على المسمى،... والمعنى الصرفي للأفعال هو الدلالة على الحدث والزمن... والمعنى الصرفي للصفات هو الدلالة على موصوف بالحدث (٤).

ومن الصعب تناول جميع هذه الدلالات الصرفية للأسماء والأفعال والصفات في دراسة واحدة، بل إن الفعل نفسه قد تطرأ عليه أحوال مختلفة من البناء للمعلوم والبناء للمجهول أو التعدية واللزوم أو التجرد والزيادة أو الجمود والتصرف...إلخ مما يدعوا إلى تحديد الجانب الذي ستتناوله الدراسة، ولما كان المعنى الأصلي للفعل هو الدلالة على الحدث والزمن فقد جعلنا هذه الدلالة موضوع دراستنا هذه للوصول إلى بيان هذا المعنى الصرفي وأثره في الشعر من خلال قصائد الأمام الشافعي.

وهناك فرق بين معاني الفعلِ الخالي عن القيودِ الزمانية، والفعل المقيَّدِ بها مثل (طَلَبَ) و(سَبَقَ أنْ طَلَبَ) و (يَكُونُ قَدْ طَلَبَ) و(لَوْلاَهُ لَمَا طَلَبَ). فإنّ الفرقَ بين هذه التراكيبِ المختلفةِ واضحةٌ بيّنةٌ. (٥)

أما الزّمانُ بالنسبة للفعل، فإنّه جديرٌ بالإهتمام؛ ذلك أن للفعل مراتبُ زمنيةٌ مختلفةٌ. ولهذا فإن علاقة الفعل بالزمان أشمل بكثير من القدر الذي حصرها علماء العربية في صِيَغٍ ثلاثٍ. وربما لم يكن غَرَضُهُمُ الوقوفَ على مفهوم الزّمانِ مباشرةً،

وإنما أرادوا أن يتوصّلوا إلى تعريفٍ للفعل يميّزُهُ عن الإسمِ والحرفِ، فاقتصروا في هذه المحاولة على تقسيمه إلى الماضي والحال والإستقبال فحسب. وقد سمّىَ بعضُهُمْ الصِّيَغَ بالأزمنة الثلاثة. لذا، فإنّ المسألةَ غيرُ واضحةٍ؛ حيث إن طالب اللّغةِ العربيةِ قد يكون متردِّداً حول هذه القضية، فيتسائل عما إذا كانت هذه التسميةُ تعبيراً عن الصِّيَغِ الفعليةِ أم المراتبِ الزمنيةِ؟(٦).

نعم إنّ الفعلَ بوقوعه حقيقة، لا ينفكُّ عن الزّمانِ على الإطلاق، وهذا لا يدخل في نطاق دراستنا. إذ أنّ الفعلَ حاليٌّ عند وقوعه البتة، ويصبح ماضياً بعد وقوعه حقيقة. وهو مستقبل ما لم يقع. فهذه لا تتعدَّى عن تصورات منطقية بحتة.

وإنما نحن بصدد الصّيغةِ الزّمنيّةِ الموضوعةِ للفعل. فالصيغة الزّمنيّةُ لها دلالات مقرونة بأحد الأزمنة المطلقة؛ وهي الماضي والحال والاستقبال؛ كبناء الماضي على الفتح، واستهلال المضارع بأحد حروف المضارعة، ودخول السين وسوف على المستقبل. فإذا كانت هذه القرائن تدلُّ على المراتب الزمنية للفعل، فإنّ علاقة الفعل بالزمان أكثر شمولا من هذا التقسيم. إذ لا يخفى أنَّ للصّيغةِ الواحدةِ من الفعل دلالاتٌ متعلقةٌ بأزمنةٍ مختلفةٍ على حسب ما يصطحب الفعل من كلمات أو تركيب. مثلاً فإن (إنْتَهَى)، وهو فعلٌ ماضٍ، لكن قد يفيد في كلِّ مثالٍ من الأمثلة الآتيةِ الخمسةِ معنى لمراتب الزمان الغابر، يختلف ذلك المعنى في كلِّ واحدٍ منها عن الدلالاتِ الزمنيةِ في بقيةِ الأمثلةِ بسببِ الأدواتِ التي لَحِقَتْ بها وهي:

١. انتهى
٢. قد انتهى
٣. إذ انتهى
٤. كان قد انتهى
٥. لولاه لما انتهى

إنّ المرتبةَ الزمنيةَ التي يدلُّ عليها فعلُ (انتهَى) في كلِّ مثالٍ من الأمثلةِ المذكورةِ، تختلفُ عن بقيَّةِ المراتبِ الزّمنيةِ في الأمثلة الأخرى، مع أن فعل (انتهى) قد وَرَدَ في كلٍّ من هذهِ الأمثلةِ على السواء. وأغربُ من هذا فإنَّ فعلَ (انتهى) . على سبيل المثال . في جملة: " إذا انتهى الأجل، انتهى الوجل" يدلّ على مستقبلٍ مُعَلَّقٍ مع أنّه فعلٌ ماضٍ.

والفعل الماضي قد يخرج في سياقات معينة عن هذه الدلالة الزمنية فهو يدل على الماضي المتصل بالحاضر والمستقبل، أو الماضي المتصل بالزمن الحاضر(٧)

وقد يدل على المستقبل في حالات منها: وقوعه في أسلوب الشرط وفي الدعاء ووقوعه بعد ما المصدرية (٨)

أما إذا قيل: إنما لم يَدْخُلْ علماءُ العربيةِ من الصرفيّين والنحويّين والأدباءِ في هذه التفاصيل تجنُّباً من التّطويل في المسائل، وتسهيلاً لطلبةِ العلمِ فإنّ هذا الإعتذار غير مُقْنِعٍ. ويغلب أنّهم قد ركّزوا جُلَّ اهتمامهم على المسائل الإشتقاقيةِ والإعرابيةِ والبلاغيةِ فحسب، وحرصوا في ذلك على تحقيق ثلاثةِ أهدافٍ دون غيرها وهي:

١. النطقُ السليمُ الخالصُ من اللّحنِ،
٢. القراءةُ السليمةُ الخالصةُ من الغلطِ،
٣. الكتابةُ الصحيحةُ الخالصةُ من الخطأ الإملائيِّ والإنشائيِّ.

إذن فتكون مسألةُ علاقةِ الفعلِ بالزمان أمراً جانبياً بالنسبة لعلماءِ العربيةِ لأنّهم حصروا مهمَّتَهم في الأبوابِ المذكورةِ، ولأنّه ليست للزّمانِ صلةٌ مباشِرَةٌ بهذهِ الأبوابِ الثلاثةِ لذلك لم يهتمُّوا بها، وهذا أحسن الظنِّ بهم.

ثم إنها إلى جانب دلالتها على المعنى الصرفي العام للمبنى لها وظائف صرفية فرعية فالأفعال مثلاً (تؤدي وظيفة الإسناد، وهذا الإسناد يختلف بحسب المتكلم، والخطاب، والغيبة، وبحسب الإفراد والتثنية والجمع، وبحسب التذكير

والتأنيث... إن أية لاصقة أو زائدة تلصق بالفعل بأنواعه الثلاثة لابد وأن تدل على معنى صرفي معين... ولهذا قال علماء اللغة الأقدمون إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى (٩).

والتحليل الصرفي للمفردات يثري الدراسة، ويكشف عن قيم تعبيرية وفنية وجمالية في اللغة، ولتلك الأهمية عُني الدارسون ببعض المسائل الصرفية التي تخدم المعنى مثل: تقسيم الكلمة من حيث الاسمية والفعلية والنظر إليها من حيث الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، ودراسة المشتقات، وتقسيم الفعل إلى أزمنة... إلخ كل هذه المسائل مما يخدم الجملة ويجعلها ذات معنى بحيث لو تغيرت وحداتها الصرفية تغيرت معانيها (١٠).

ومن أهم الوحدات الصرفية في اللغة: الفعل ويليه الوصف، ووفرة الأفعال في وتكرارها بنسبة عالية يجعله سمة أسلوبية، ولما كانت وفرة الفعل وأزمنته وأبنيته في النص سمة أسلوبية قد تؤثر في المعنى فقد هدفت في هذه الدراسة إلى بيان ذلك الأثر من خلال الشعر.

ودواوين الشعر العربي تنطق بهذه الدلالة الصرفية، وقد اخترت القصائد المنسوبة للإمام الشافعي في الحكمة لتكون أنموذجا لبيان هذه الدلالة الصرفية للفعل في شعر الإمام الشافعي.

وقد عرف علماء اللغة والنحو الفعل فابن فارس يقول: (الفاء والعين واللام، أصل صحيح يدل على إحداث شيء من عمل أو غيره) (١١)

وجاء في لسان العرب: (الفعل كناية عن كل متعد أو غير متعد، فعل يفعل فعلا وفعلا) (١٢)

ويعرفه سيبويه قائلا: (وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع، وماهو كائن لم ينقطع، فأما بناء مامضى فـ (ذهب . سمع ومكث وحمد) وأما بناء مالم يقع فإن قولك آمرا (اذهب واقتل واضرب) ومخبرا (يقتل . ويذهب . ويصيب كتاب) (١٣)

ويعرفه الزجاجي بقوله: (مادل على حدث وزمان) (١٤)

وعرفه ابن هشام: (كلمة تدل على معنى في نفسه) ا مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة (١٥)

وقد تأتي الأفعال بدلالات متقاربة ولكن لكل فعل مقام معلوم، من ذلك(أفاء . أفاق . أناب . أعاد) (يزجي . يرسل . يسوق . يبعث) إلى غير ذلك(١٦)

التعريف بالشافعي:

هو محمد بن إدريس بن شافع الهاشمي...، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة.

ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ودفن بالقاهرة... برع الشافعي في اللغة والشعر، وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وكان مفرط الذكاء وأفتى وهو ابن عشرين سنة (١٧).

وقد كان لشعر الشافعي مذاقا خاصا تستطيع من خلاله أن تميز به شعره عن شعر الآخرين، ومن ملامح شعره (١٨)

١ . كثرة الحكم في شعره، ولاسيما تلك التي تحض على طلب العلم، والرضا بقضاء الله وقدره.

٢ . خلوه من المدح والهجاء

٣ . قلة الصور الفنية الشعرية، وشعره، وصوره أشبه مايكون بشعر الفقهاء، يغلب عليه الجانب المنطقي.

٤ . قلة الوصف

٥ . الطبع والعضوية

٦ . خلوه تقريبا من الغزل والنسيب والحديث عن المرأة

ويشكل ديوان الشافعي تطبيقا لموضوعات الصرف بصفة عامة وللفعل خاصة، حيث وردت به كل صور الفعل الماضي والمضارع والأمر بكثرة شديدة كما سنرى.

وأولى السمات الأسلوبية اللافتة في قصائد الإمام الشافعي:

– سيطرة الفعل على لغة الأبيات الشعرية، ومعظم موضوعات الشاعر تؤثر التعبير بالجمل الفعلية، حيث نجد أن شعر الأخلاق والأدب قد بلغت أبياته ٢٢٣ بيتا، وشعر الأخوة والصحبة الحسنة قد بلغ ٣٢ بيتا، وشعر شرف العلم والتعلم قد بلغ ٦٦ بيتا، وشعر الفتاوى بلغ عشرة أبيات، أما شعر مكارم الأخلاق

فقد بلغ ٥٥ بيتا، وشعر الزهد والتصوف والعقيدة بلغ ١٣٧ بيتا، وبلغ شعر الحكمة عشرين بيتا، أما الأغراض التقليدية فقد بلغت ٢٢ بيتا (١٩)

وقد بلغ مجموع الأفعال في أبيات قصيدة (دع الأيام) مثلا وعددها ١٣ بيتا (٢٤) فعلا تنوعت كما يلي:

فعل الأمر والذي بدأت به القصيدة حيث بدأت بفعل الأمر (دع) مما يعطي دلالة معينة من أول وهلة بأن موضوع القصيدة هو النصح والإرشاد وإيراد الحكم المساعدة للشاعر ليتقبل القارئ ذلك النصح وهذا الإرشاد فخرج فعل الأمر(دع . طب . كن . تستر) من معناه الحقيقي وهو طلب فعل الشيء إلى المعنى المجازي وهو النصح والإرشاد وكثرت الأفعال المضارعة الواقعة في أسلوب النهي (لاتجزع . لاتر . لاترج).

كما جاءت الأفعال الماضية (حكم . كثرت . قيل . كنت . نزلت . نزل . ضاق) وكلها تدل على خبرة الشاعر في الحياة والتي يرويها في كثرة استخدامه للفعل الماضي.

ثم يأتي الفعل المضارع المثبت (تشاء . تكون . يغطيه . يدوم . ينقصه . يزيد . تقيه . تعذر . يغني) ليكمل لنا اللوحة الفنية المتداخلة المعاني والإيحاءات فتأتي الحركة والاستمرارية من خلال هذه الأفعال المضارعة.

ونجده في مقطوعة (سهام الليل) والمكونة من ثلاثة أبيات وقد ازدانت بالأفعال الدالة على الحركة حتى أنه استخدم ثلاثة أفعال مضارعة في بيت واحد يقول:

أتهـــــزأ بالـــــدعاء وتزدريـــــه وماتـــدري بمـــا صـــنع الـــدعاء

فالأفعال (تهزأ . تزدري . تدري) تنوع مجيئها على أكثر من حالة وهيئة حيث ورد الفعل الأول (تهزأ) مقترنا بأسلوب استفهام استنكاري وعطف عليه الفعل الثاني (تزدري) وجاء الفعل الثالث (تدري) مقترنا بنفي.

ويأتي فعل رابع ماصيا منفيا (ماصنع) ويكون بهذا قد استخدم أربعة أفعال في بيت واحد قصير.

ونراه في المقطوعة ذاتها يستخدم أربعة أفعال أخرى في البيت الثالث يقول واصفا الدعاء (سهام الليل):

فيمســـــكها إذا ماشـــــاء ربـــــي ويرســـــلها إذا نفـــــذ القضـــــاء

فنجده يستخدم المضارع (يمسكها . يرسلها) والماضي (شاء . نفذ) ليرسم مقطوعة فنية غنية بالحكم من ثلاثة أبيات كما نلاحظ أيضا استخدامه للصيغة الصرفية ذاتها مكررة كما في صيغة (يفعلها) للمضارع تكررت في (يمسكها ويرسلها)، وصيغة الماضي (فعل) كما في (شاء ونفذ).

ومن الظواهر اللافتة؛ احتشاد الأفعال في المقطع الحواري، فهي لا تتباعد كثيرا بحيث تتوزع وتتناثر في اللغة، بل تتقارب وتتوالى على لسان الشاعر محدثة تراكما في المقطع الحواري لكن الحوار عند الشافعي في غالبه حوار متخيل، وأحيانا يكون حوارا واقعيا كما في حوار الشاعر مع بشر المريسي ومناظرته له في حضرة هارون الرشيد حيث احتشدت الأفعال في هذا المقطع يقول: (٢٠):

أحـــب مكـــارم الأخـــلاق جهـــدي وأكـــره أن أعيـــب أو أن أعابـــا

وأصـــفح عـــن ســـباب النـــاس حلمـــا وشـــر النـــاس مـــن يهـــوى الســـبابا

ســـليم العـــرض مـــن حـــذر الجوابـــا ومـــن درى الرجـــال فقـــد أصـــابا

ومـــن هـــاب الرجـــال تهيبـــوه ومـــن حقـــر الرجـــال فلـــن يهابـــا

ومـــن قضـــت الرجـــال لـــه حقوقـــا ومـــن يعصـــي الرجـــال فمـــا أصـــابا

هذه مقطوعة من خمسة أبيات يتحدث فيها عن فضائل الرجال عامة وعن مكارم أخلاقه خاصة لذا كثرت الأفعال وتنوعت فيها وكثر استخدام الفعل المضارع المبدو بهمزة المتكلم (أحب . أكره . أعيب . أعابا . أصفح) وتوحي هذه الكثافة للمضارع المسند إلى ضمير المتكلم بتضخم الأنا، وعلو الإحساس بالذات،

وتوهجها. وازدحام الأنا معادل شعوري لفرط ثقة الشافعي بنفسه، وإحساسه بمسؤوليته تجاه مبادئه، وتحقيق رسالته.

وهذه الظاهرة قد احتشدت في قصائد الشافعي ومقطوعاته فغلب عليها استخدام الفعل المضارع الدال على التكلم سواء المبدوء بهمزة التكلم أو المتصل بياء المتكلم أو المتصل بتاء الفاعل.

وقد حصرنا تلك الأفعال وهي: (حرمت . دهيت كلمته . خليته . سكت . عيبت . عفوت . لبست . أصبته . علقت (مرتان) . قاسمته . تصفحت . أبرأته قلت . كنت أصبحت . لست . لازلت . غذيتني . هديتني رمت . ضقت . هبته . خفته . هويت . سبني . تزايدت . وجدتني . خانني . رأتك . كنت . قلت . اشتريت . رآني . رأيته شئت . رعيت . أجبت . كرهتني . أتاني . ضقت . قنعت صنت . جفاني . طردت . بسطت . برئت . تورعت . قنعت . صرت . وجدتني . أنزلني . سألتهم . حشرت . ملأت . بلغت . وجدتهم . غبت . مرضت . رأوني . أتيت . تقلبت . توليت . ناديت . ساءني . سرني . تذرعت . عشت . جاءني . وافيتها . بليت . وجدت . لزمته . حشرت . غبت . وجدتهم . مرضت . رأوني . أتيت . تقلبت . ناديت . أوليته . صرت . أتيت . مننت . غلبت . شكوت . أخبرني عبرت . تنكرت . شهدت . أرشدني . أكداني وجدت . علمت . مرضت . برئت . رأيت . بلوت . جردت . قطعت . زرتني أقرضته . أظهر . أشكو . أستمطر . أعجب . لم أر . لم أضح . أرى . أنثر . أنظم . سأكتم . لاأنثر . أبالي . أرى . أغضب . أتوب . أدب . أأنعم . أرها أعطي . أمتع . لم أجد سأترك . أموت . أعيب أحب أكره . أصفح . أعابا أكون أكتمه . أزيد . سأضرب أكره . أنال . أجد . أشهد . أخلص أصون أجعلها . لم أحذر . أشعر أسمع . أرى . أدفع . أقرع أتضرع . أدعو . أهتف لم أرض . أهجو . أسود . أعزيك . أهين . تكويني . تكفيني . تنازعني . تغريني يناديني . تدعوني . يخليني . يغريني . أقول . سأصبر . لم أدع . أبالي . يعالجني . أرفع . تعاظمني . أكون . أصبر . أهنأ . أسعى أنفع أسلم . أترك .

ماأريد . أحقد . أحيي . أدفع . أحسن . أبغضه أشاكله . أوسد . أحاققه . أفرقه . أسوء . أظنها . أريد . أقسم . أقول . أخلق . أيقنت . أبيت . أحرق.

وقد تجسدت الأنا وحب الذات في مقطوعة بعنوان: (الشعر والعلماء) (٢١) ذكر أنه دخل رجل على الشافعي وهو مستلق على ظهره، فقال: (إن أصحاب أبي حنيفة هم الفصحاء، قال: فاستوى الشافعي وأنشأ يقول:

فلولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

وأشجع في الوغى من كل ليث وآل مهلب وأبي يزيد

ولولا خشية الرحمن ربي حشرت الناس كلهم عبيدي

بالإضافة لما يفوح في البيت من معاني الثقة الزائدة عن الحد ولاهذا البيت الأخير الذي يتنافى مع شخصية الشافعي إلا أن الأفعال (كنت . أشجع . حشرت) المتصلة بتاء الفاعل، أو المبدوءة بهمزة المتكلم وكلاها تعطي دلالة على الأنا والذات.

كما كثر استخدامه للفعل الماضي (حذر . دري . أصاب هاب) مع وروده في أسلوب شرط للتأكيد على المعاني التي يريد إيصالها من حكم ووعظ (من دري الرجال فقد أصابا . من هاب الرجال تهيبوه . من حقر الرجال فلن يهابا . من قضت الرجال له حقوقا... فما أصابا).

هذا مع تكرار الجذر الواحد في البيت نفسه كما في (هاب . تهيبوه . يهابا) مما يزيد توكيدا للدلالة على معنى الهيبة في صيغ صرفية مختلفة.

وقد لاحظنا انتشار هذه الظاهرة بشدة في أبيات الديوان حتى أستطيع القول أنها تعتبر لازمة أسلوبية من لوازم الشاعر وعلامة عليه حيث لاتخلو قصيدة ولا مقطوعة شعرية إلا ويتلاعب فيها الشاعر بالصيغ الصرفية للفعل مكررا استخدامها في البيت الواحد أو البيتين

وأحيانا يستخدم الصيغة الواحدة مرة مثبتة وأخرى منفية في البيت نفسه يقول في:

عفـــوت عـــن الســـفيه فظـــن أنـــي عييـــت عـــن الكـــلام وماعييـــت

ويقول أيضا:

مـــن صـــدق النـــاس لـــم ينلـــه أذى ومـــن رجـــاه يكـــون حيـــث رجـــا

ومنه البيت الشهور في الفرج والأمل حين يقول:

ضـــاقت ولمـــا اســـتحكمت حلقاتهـــا فرجـــت وكنـــت أظنهـــا لاتفـــرج

ومنه:

ولتخبـــرن خصاصـــتي بتملقـــي والمـــاء يخبـــر عـــن قـــذاه زجاجـــه

ومنه أيضا:

ليـــت الســـباع لنـــا كانـــت مجـــاورة وليتنـــا لانـــرى ممـــا نـــرى أحـــدا

ومنه كذلك:

إن تغـــرب هـــذا عـــز مطلبـــه وإن تغـــرب ذاك عـــز كالـــذهب

وأيضا قوله:

فـــلا ذا يرانـــي واقفـــا فـــي طريقـــه ولا ذا يرانـــي قاعـــدا عنـــد بابـــه

ومنه قوله:

ســـكت عـــن الســـفيه فظـــن أنـــي عييـــت عـــن الجـــواب وماعييـــت

ونراه في مقطوعة بعنوان: (أيادي مضت) يستخدم الفعل المضعف (مل) في أكثر من ثلاثة أبيات بصيغ صرفية مختلفة من أصل ستة أبيات هي عدد أبيات المقطوعة، يقول:

أبـــوا أن يملونـــا ولـــو أن أمنـــا تلاقـــي التـــي يلقـــون منـــا لملـــت

وقـــالوا فلمـــوا الـــدار حتـــى تبينـــوا وتنجلـــي الغمـــاء عمـــا تجلـــت

ثم يقول أيضا في نفس المقطوعة:

ومن بعد ما كنا لسلمى وأهلها عبيدا وملتنا البلاد وملت

ومنه تكراره للفعل (أراد) أكثر من مرة في البيت الواحد، يقول:

أسلم إن أراد الله أمرا فأترك ما أريد لما يريد

وما لإرادتي وجه، إذا ما أراد الله لي ما لا أريد

ومنه استخدامه للفعل (رأى) كما في يقول في مقطوعة بعنوان:(لعله يعيرني كتابا):(٢٢)

سأل ا لشافعي محمد بن الحسن أن يعيره كتابا فكتب إليه بهذه الأبيات:

قل للذي لم ترَ عيـ ن من رآه مثله

ومن كان من قد رآ ه ماقد رأى من قبله

ومنه استخدامه للفعل (زار) في مقطوعة بعنوان: (زيارة أحمد بن حنبل) (٢٣).

كان الإمام أحمد بن حنبل من خواص أصحاب الشافعي وكان الشافعي يأتيه إلى منزله فعوتب في ذلك فأنشد:

قالوا: يزورك أحمد وتزوره قلت: الفضائل لاتفارق منزله

إن زارني فبفضله، أو زرته فلفضله، فالفضل في الحالين له

ومنه استخدامه للفعل (عاد) في مقطوعة بعنوان: (أحكام الهوى) (٢٤) يقول:

عدت حبيبي وبه علة فعدت والعلة لي لازمة

وعادني من علتي سالما فعادت النفس به سالمة

ثم ينوع في تكرار جذر آخر (صح) فيستخدمه مرتين في الأولى فعلا وفي الثانية مصدر في المقطوعة نفسها يقول:

والـــــنفس إن صـــــحت ومحبوبهـــــا غيـــــر صـــــحيح وجـــــدت ظالمـــــة

ويكرر جذرا آخر في المقطوعة ذاتها (حكم) يقول في البيت الرابع:

وكيـــــف لاتجـــــري علـــــى حكمـــــه وهـــــي بأحكـــــام الهـــــوى عالمـــــة

ومنه تلاعبه بالفعل (يزن) فيكرره مرتين بالصيغة نفسها يقول:

مـــــن يـــــزن بـــــه ولـــــو بجـــــدارة إن كنـــــت ياهـــــذا لبيبـــــا فـــــافهم

ومنه قوله:

فـــإن تعـــف عنـــي تعـــف عـــن متمـــرد ظلـــوم غشـــوم حـــين يلقـــاك ملمـــا

ويستخدم الفعل (رأى) في مقطوعة واحدة مكونة من خمسة أبيات بعنوان (كامل المعاني) حيث نراه يكرره خمس مرات في بيتين اثنين يقول: (٢٥): يقول:

ومـــــن رآنـــــي بعـــــين نقـــــص رأيتـــــه بالـــــذي رآنـــــي

ومـــــن رآنـــــي بعـــــين تـــــم رأيتـــــه كامـــــل المعـــــاني

ومنه تكراره للفعل (شاء) أكثر من مرة حيث يقول (٢٦)

مـــا شـــئت كـــان ومـــا لـــم تشـــأ ومـــا شـــئت إن لـــم تشـــأ لـــم تكـــن

ويتلاعب بالفعل (زان) يقول:

زن عـــــن يزينـــــك ممـــــا اتزنـــــ ت ومـــــا يزنـــــك مـــــن تزنـــــه

ومنه تكرار الأفعال مع أسلوب الشرط وهي كثيرة منها: (٢٧)

ولســـــت مهيـــــاب لمـــــن يهـــــابني ولســـت أرى للمـــرء مـــا لـــم يـــر ليـــا

فـــإن تـــدن منـــي تـــدن منـــك مـــودتي وإن تنـــأ عنـــي تلقنـــي عنـــك نائبـــا

ومن التكرار كذلك قوله (٢٨):

مـــــرض الحبيـــــب فعدتـــــه فمرضـــــت مـــــن حـــــذري عليـــــه

وأتـــــى الحبيـــــب يعـــــودني فبرئـــــت مـــــن نظـــــري إليـــــه

وهكذا فإنه لا تخلو صفحة من صفحا ت الديوان إلا وقد استخدم هذه الظاهرة.

كما أنه قد يستخدم الأفعال المتضادة كما في قوله:

يريد المرء أن يعطى هواه ويأبى الله إلا ما أراد

والفعل كما هو معلوم يدل على حدث وهو بذلك أكثر دلالة على الحركة من الاسم، واستحواذه على اللغة يوحي بفاعلية الأحداث وحركيتها، وأنها أبعد ما تكون عن الثبات والاستقرار والديمومة.

وهذه المقطوعة السابقة (أيادي مضت) والمكونة من ستة أبيات اشتملت على أربع وعشرين فعلا مختلف الأزمنة لكن طبيعة الموضوع الذي يتحدث عن تجارب في الماضي اضطرت الشاعر لحشد الأفعال الماضية في المقطوعة والتي بلغت سبعة عشر فعلا في هذه المقطوعة فقط وهي: (جزى . أزلفت . زلت . خلطونا . ألجئوا . أدفأت . أظلت . أبوا . ملت . مضت . كبرت . أهلت . وقالوا . ماكنا . تجلت . ملتنا . ملت).

وتوظيف الفعل الماضي في الحديث عن الفترات السابقة والتاريخ يعبر عن الشخصية العربية التي تعترش الماضي وتتعلق به فتشغلها عن حاضرها فيستغرقها في الماضي سلبا وإيجابا (٢٩)

وجاء فعلا واحدا للأمر وهو (فلموا)، وستة أفعال مضارعة وهي (يملونا . تلاقي . يلقون . ستجزي . تبينوا . تنجلي).

وقد احتشد الفعل الماضي في أبيات الديوان وقد حصرنا الأفعال الماضية في أبياته فكانت ٧٨٩ فعلا

وتتراكم الصيغة الفعلية في المقاطع الحوارية التي يتخيل فيها حوار مع مخاطب، إذ يحتشد تسعة وأربعون فعلا في قصيدة بعنوان (سيفتح بابا) والتي يتوجه فيها إلى مخاطبه في خمسة وعشرين بيتا من الشعر.

وتشير هذه الأبيات إلى حفاوتها بالفعل المضارع، وغلبته على لغة الشاعر أكثر من الماضي والأمر، وهذا الحضور الطاغي للفعل المضارع ، يوحي بحيوية الأحداث واستمرارها عبر الأزمنة وعدم اقتصارها على زمن معين لأنها حكم وعبر لكل الأزمنة، وغلبة المضارع تعنى أن هذه الحركة يدور معظمها حول الحاضر، فحياة الشاعر حافلة بالنشاط والفاعلية . والأفعال المضارعة وعددها ٢٩ فعلا في هذه القصيدة وهي (سيفتح . يتسع . تضيق . يجدي . ير . يهاب . تأته . أتيح . يعود . . يعاتب يحق يجاب . تأسى . تحبي . تصاب . تكن . يستراب . يمص . يستطاب . تجل . يمص . يعاب . يقود . تدر . يفر . تغني . يلاقي . يهوي . يردي).

وقد تتحول دلالة الفعة ل المضارع إلى الماضي في سياقات معينة وذلك بقرائن لفظية أو معنوية خاصة بالزمن الماضي وذلك مثل (لم، لما) (٣٠) .

وقد وردت كثيرا في أبيات ديوانه مثل: (لم أر . لم يزد . لم أضح . لم تأب . لم أجد (تكررت ست مرات) . لم تعن . للم ير . لم تخف . لم تعط . لم تدر . لم تكن . لم يعط . لم أعلم . لم يذق . لم يكونا . لم ينله . ولم أنل . لم يكن . لم يصب . لم يصل .

أما الفعل الأمر فقد ورد سبع مرات (هون . تبين . اقتصد . أقلل . فأحسن . دع . ميز)

أما الماضي فقد ورد فيها ١٥ مرة (سد . ضقت . هبته . خفته . عوفيت . انجاب . أتاك . أتيح . علاه . احتجت . رجاه . جاء . هويت . رق . حار) ونلاحظ أن الفعل الماضي اتصل في معظمه بتاء الفاعل للمخاطب المذكر مما يؤكد على حرص الشاعر على توجيه الخطاب إما لمخاطب حقيقي أو متخيل.

ونلاحظ كذلك وروده في أسلوب شرط وجزاء مما يشير إلى الحكم والمواعظ فيقول مثلا:

إذا حار أمرك في معنيين ولم تدر فيما الخطأ والصواب

وجواب الشرط في البيت الذي يليه حيث يقول:

فـــدع ماهويـــت فـــإن الهـــوى يقـــود النفـــوس إلـــى مايعـــاب

ويرتفع الأداء الفعلي في الفعلين (يخالطني، يوافقني) لأن المعنى الصرفي لصيغة (يفاعِلُ) هي المشاركة وهذا يعنى أن الفاعل والمفعول به قد اشتركا في الحدث، بحيث (يفعل أحدهما بصاحبه فعلا فيقابله الآخر بمثله، فتنسب الفاعلية للبادئ، بينما تنسب المفعولية للمقابل كما أنها تضيف قيمة تعبيرية لاتصالها بياء المتكلم، وهي تقوم هنا بوظيفة نحوية هي الدلالة على المفعولية، (٣١).

يقول في مقطوعة بعنوان (الناس داء):

فلســت أســلم مــن خــل يخــالطني فكيــف أســلم مــن أهــل العــداوات

ويقول في مقطوعة أخرى بعنوان: (تصفحت إخواني) واصفا الخل أو الصديق الذي يتمناه:

يـــوافقني فـــي كـــل أمـــر أريـــده ويحفظنـــي حيـــا وبعـــد ممـــاتي

مما يشير إلى رغبة الشاعر الملحة في الاندماج مع الغير والمشاركة.

وتشير كثرة صيغة فعل الأمر في أشعار الشافعي إلى نزعة النصح والإرشاد لديه لاإلى استعلائه وجبروته وإذلاله لمن حوله كما يلاحظ عند بعض الشعراء، وقد ورد فعل الأمر في أبياته (١٥٦) مرة.

وبعد هذا التحليل الإحصائي للصيغة الفعلية يتضح أن الفعل ظاهرة لافتة في اللغة، على مستوى أبيات الشافعي، حيث تحتشد وتتراكم الصيغة الفعلية، وخصوصاً الفعل المضارع، الصيغة الأثيرة لدى الشاعر ودلالته على الحال أو الاستقبال تعبر عن تطلعاته المستقبلية وتحركاته حول الحاضر.

وقد ورد الفعل المضارع في الديوان ٧٦٢ مرة.

الخاتمة:

مع نهاية البحث نلاحظ الآتي:

١ . احتشاد الأفعال في الديوان المنسوب للشافعي فقد وصلت إلى (١٧٠٦) فعلا متنوعا في الزمن.

٢ . تنوع الصيغ الصرفية الزمنية للأفعال، فقد استخدم الماضي والمضارع والأمر.

٣ . غلبة استخدام الفعل الماضي حيث وصل استخدامه إلى ٧٩١ فعلا مقابل ٧٥٩ فعلا مضارعا و١٥٦ فعل أمر.

٤ . كثرة استخدام الفعل الدال على التكلم سواء كان ماضيا أو مضارعا مبدوءا بهمزة التكلم أو مسندا لياء المتكلم أو لتاء الفاعل للمتكلم.

٥ . كثرة استخدام الجذر الواحد بصيغ صرفية مختلفة في الزمن.

٦ . كثرة استخدام الفعل نفسه بصيغته وزمنه أكثر من مرة في البيت الواحد أو البيتين.

٧ . طبيعة موضوعات الشاعر قد فرضت الحشد الفعلي للأبيات وفرضت كذلك تنوع الصيغ الصرفية الزمنية وقد كثر الأمر في شعر النصح والإرشاد وليست وليدة حب الذات.

أما الماضي والذي احتشد كثيرا في القصائد والمقطوعات فقد عبرت عنه موضوعات الحكم والوعظ ومكارم الأخلاق.

أما المضارع والذي تقارب مع الماضي ليرسم لنا صورة حركية نابضة بالحياة صالحة للحاضر والمستقبل.

وأخيرا فإن اختيارنا لشعر الإمام الشافعي كان متعمدا ومقصودا لما يتميز به هذا الشعر من لسهولة أسلوبه وانفراده بميزات أسلوبية خاصة وموضوعات مميزة ولخلوها من الغزل وارتباطها بالواقع والتجارب مما يجعلها مادة خصبة للتطبيق والتحليل.

ولكن واجهتنا صعوبة اختلاف الآراء حول نسب الأبيات للشافعي مما حدى بنا للبعد عن هذه الخلافات حيث تذخر كتب الأدب والتزام بها واعتمدنا على أحد شروح الديوان والتي استقينا منها مادتنا العلمية

الهوامش:

(١) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ص٢٠٣، فاضل مصطفي الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧م.

(٢) السابق، ص٢٠٧.

(٣) مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة / حسن هنداوي / دار القلم / دمشق (د. ت) ص٢٢

(٤) دراسات في علم اللغة: د. كمال بشر، ص٨٥ و٩٧، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧١م، المغني الجديد في علم الصرف، د. محمد خير حلواني ص٣٩، دار الشرق العربي، بيروت – لبنان، د ت.

(٥) الأزمنة في اللغة العربة. تأليف / فريد الدين آيدن دار العبر للطباعة والنشر . اسطنبول ١٩٩٧م ص٢

(٦) المرجع السابق ص٣

(٧) الصيغ الصرفية ودلالتها في ديوان عبد الرحيم محمود / دراسة وصفية للباحثة / حنان جميل عايد / إشراف: أ.د / صادق عبد الله أبو سليم عايد ١٤٣٢ / ٢٠١١م / ص٥٩.

(٨) التثقيف في اللغة العربية / صادق أبو سليمان / دار المقداد / فلسطين / ط٤ ٢٠٠٦م ص ٩٠ / ٩١ . معاني الأبنية في العربية / د. فاضل السامرائي / جامعة الكويت / كلية الآداب / ط١ / ١٩٨٤م، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة / عباس حسن / مكتبة المحمدي / بيروت / لبنان / ط١ / ٢٠٠٧م، ج١ / ص٥٣ . ٥٥

(٩) أدب الكاتب، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، لبنان،ط١٩٨٨،١،ص٢٨٣

(١٠) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ص٢٠٣

(١١) معجم مقاييس اللغة / أحمد بن فارس / تحقيق: عبد السلام هارون / دار الكتب العلمية . بيروت / ٢ /٣٥٨

(١٢) لسان العرب لابن منظور المصري / دار الحديث . القاهرة ٢٠٠٣ م ٧ / ١٣١ مادة: فعل

(١٣) الكتاب / أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . تحقيق: عبد السلام هارون / مكتبة الخانجي ط٢ ١٩٨٢ م، ١ /١٢

(١٤) الإيضاح في علل النحو / أبو القاسم الزجاجي / تحقيق: مازن المبارك / دار النفائس / بيروت / ط٢ ١٩٧٣ م ص٥٢

(١٥)) الجامع الصغير في النحو / لابن هشام الأنصاري .ت / أحمد محمود الهرميل / مكتبة الخانجي / القاهرة ١٩٨٠ م، ص٩.

(١٦) أبنية الأفعال / دراسة لغوية قرآنية / د. نجاة عبد العظيم الكوفي / دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٩م ص ٦.

(١٧) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لأحمد محمد ابن خلكان / تحقيق: د. إحسان عباس .ط دار الثقافة .بيروت ١٦٣/٤، معجم الأدباء / ياقوت الحموي / دار المأمون / القاهرة / د.ت ١٧ / ٢٨١.

(١٨) ديوان الإمام الشافعي . حققه / عبد الرحمن المصطاوي . دار المعرفة . بيروت . لبنان . الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥ م ص ١٣،١٤،١٥

(١٩) ديوان الشافعي ص ٢٤،٢٥،٢٦

(٢٠) الديوان ص ٢٢

(٢١) الجوهر النفيسفي أشعار محمد بن إدريس / جمع محمد مصطفى . طبعة النيل بمصر، ص١٥ وفيات الأعيان ٤ / ١٦٧، الديوان ص٤٩، ٥٠

(٢٢) مقامات الحريري / القاسم بن علي الحريري البصري / طبعة بيروت ٩٤/٤، المحمدون من الشعراء / للقفطي، تحقيق معمري / طبعة دار اليمامة . الرياض، ص١٣٨

(٢٣) الديوان ص ٥٠

(٢٤) الديوان لمجاهد بهجت ص ٩٧

(٢٥) شرح الديوان ص١٢٢، ١٢٣، مناقب الشافعي / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق / أحمد صقر / ط دار التراث / مصر ١٩٧٠م، ٢ / ١٠٩:

(٢٦) الديوان ١٢٣

(٢٧) الديوان ١٢٨

(٢٨) الديوان ١٢٩

(٢٩) البناء الصرفي في الخطاب المعاصر . دراسة في الألفاظ التراثية والمحدثة ./ د: محمود أبو المعاطي حجازي / ط٢٠٠٥م الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي / القاهرة ص٢١

(٣٠) معاني الأبنية في العربية / د. فاضل السامرائي / جامعة الكويت . كلية الآداب / ط١ / ١٩٨١م ص٣٤/٣٣، التثقيف في اللغة ص٩٢، النحو الوافي ١ / ٥٧ . ٦٣

(٣١) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص٢٩٢.

المراجع:

١، أبنية الأفعال / دراسة لغوية قرآنية / د. نجاة عبد العظيم الكوفي / دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٩م.

٢ـ البناء الصرفي في الخطاب المعاصر . دراسة في الألفاظ التراثية والمحدثة ./ د: محمود أبو المعاطي حجازي / ط٢٠٠٥م الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي / القاهرة

٣ . التثقيف في اللغة العربية / صادق أبو سليمان / دار المقداد / فلسطين / ط٤ ٢٠٠٦م

٤ . الجامع الصغير في النحو / لابن هشام الأنصاري . ت / أحمد محمود الحرميل / مكتبة الخانجي / القاهرة ١٩٨٠ م.

٥ . الجوهر النفيس أشعار محمد بن إدريس / جمع محمد مصطفى . طبعة النيل بمصر.

٦ الأزمنة في اللغة العربة ـ تأليف / فريد الدين آيدنـ دار العبر للطباعة والنشر . اسطنبول ١٩٩٧م.

٧ . الصيغ الصرفية ودلالتها في ديوان عبد الرحيم محمود / دراسة وصفية للباحثة / حنان جميل عايد / إشراف: أ.د / صادق عبد الله أبو سليم عايد ١٤٣٢ / ٢٠١١م.

٨. الكتاب / أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . تحقيق: عبد السلام هارون / مكتبة الخانجي ط٢ ١٩٨٢ م.

٩ النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة / عباس حسن / مكتبة المحمدي / بيروت / لبنان / ط١ / ٢٠٠٧م.

١٠ الإيضاح في علل النحو / أبو القاسم الزجاجي / تحقيق: مازن المبارك / دار النفائس / بيروت / ط٢ ١٩٧٣ م.

١١أدب الكاتب، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، لبنان،ط١٩٨٨،١.

١٢أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ص٢٠٣، فاضل مصطفي الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧م.

١٣ . دراسات في علم اللغة: د. كمال بشر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧١م،

١٤ ديوان الإمام الشافعي . حققه / عبد الرحمن المصطاوي . دار المعرفة . بيروت . لبنان . الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥ م.
١٥ . ديوان الإمام الشافعي / جمع . تحقيق ودراسة د. مجاهد مصطفى بهجت / دار القلم / دمشق / ط١ / ١٩٩٩م
١٦ . لسان العرب لابن منظور المصري / دار الحديث . القاهرة ٢٠٠٣ م ٧ / ١٣١ مادة: فعل
١٧. معاني الأبنية في العربية / د. فاضل السامرائي / جامعة الكويت / كلية الآداب / ط١ / ١٩٨٤م،
١٨ . معجم مقاييس اللغة / أحمد بن فارس / تحقيق: عبد السلام هارون / دار الكتب العلمية . بيروت.
١٩ . المغني الجديد في علم الصرف، د. محمد خير حلواني ص٣٩، دار الشرق العربي، بيروت – لبنان، د ت.
٢٠ . المحمدون من الشعراء / للقفطي، تحقيق معمري / طبعة دار اليمامة . الرياض.
٢١ مقامات الحريري / القاسم بن علي الحريري البصري / طبعة بيروت ٩٤/٤
٢٢ـ مناقب الشافعي / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق / أحمد صقر / ط دار التراث / مصر ١٩٧٠م.
٢٣ . مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة / حسن هنداوي / دار القلم / دمشق (د. ت)

فهر ??لموضوعا ?

?لموضـــــــــــــو ?	?لصفحة ?
المقدمة	٧٩٥
الصيغة في الاصطلاح	795
الصيغة الزمنية الموضوعة للفعل	797
الوحدات الصرفية فى اللغة	799
التعريف بالشافعي	801
السمات الأسلوبية اللافتة في قصائد الإمام الشافعي	801
الخاتمة	813
الهوامش	815
المراجع	818
فهرس الموضوعات	820